بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على سيّدنا محمّد وعلى آله وأصحابه أجمعين وبعد:

فهذه خلاصةٌ علميّةٌ تحت اسم: **(الموجزُ المتين في مَراتب نِيّات المجاهدين)** منتقاة من كتاب: **(مشارع الأشواق)** لابن النحّاس "رحمه الله" مع بعض الإضافات والمسائل المتعلّقة بواقعنا الراهن في خاتمة البحث، أعرضها على إخواني لعلّ الله ينفع بها.

مــــقــدمــــــة:

قال تعالى: ﴿فَاعْبُدْ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ﴾.[1]

وقال ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات».[2]

وقال ﷺ: «القتلى ثلاثة: رجلٌ مؤمنٌ جاهد بنفسه وماله في سبيل الله، حتى إذا لقي العدوّ قاتلهم حتى يُقتلَ، فذلك الشهيد الممتحَن في جنة الله تحت عرشه، لا يَفْضُله النبيّون إلا بفضل درجة النبوة؛ ورجلٌ فرَق على نفسه من الذنوب والخطايا وجاهد بنفسه وماله في سبيل الله، حتى إذا لقي العدوّ قاتلَ حتى يُقتل، فتلك مصمصة محت ذنوبه وخطاياه، إنّ السيف محّاء للخطايا، وأدخل من أيّ أبواب الجنة شاء، فإنّ لها ثمانية أبواب ولجهنّم سبعة أبواب، وبعضها أفضل من بعض؛ ورجل منافق جاهد بنفسه وماله حتى إذا لقي العدوّ قاتل في سبيل الله حتى يُقتل، فذلك في النّار، إنّ السيفَ لا يمحو النفاق».[3]

فنجاة العبد تحصل بإخلاص العبادة، وإنّ جُلّ العبادات من صلاة أو صدقة وغيرها إذا صدر منها شيء مشوبًا بالرياء في وقت أمكن أن يصدر منها في وقت آخر على وجه

---

(1) سورة الزمر، الآية (2).

(2) رواه البخاري (1)، و مسلم في صحيحه (1907).

(3) أخرجه أحمد (17693)، والدارمي (2411)، و جوّد إسناده المنذريّ في "الترغيب والترهيب" (279/2).

الإخلاص أو يتوب صاحبها ويكفّر عن ذنبه إلا الجهاد في سبيل الله، فمن ذهبت نفسه فلا تعود إليه إلى يوم القيامة، فإمّا أن يتقبّلها مولاها أو يردّها.

أحكام الثبات واشتراط القتل مقبلاً غير مدبر للشهادة :

والتولّي يوم الزحف هو من السبع الموبقات.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفاً فَلا تُوَلُّوهُمْ الأَدْبَار ﴾ وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفاً لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنْ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾[1].

والتحرّف هو الخطّة والكيد العسكريّ، والتحيّز إلى فئة أنْ يفرّ منحازاً إلى جيشه وجماعته ليعاودَ الكَرَّة على العدو.

سأل رجل النبي ﷺ: أرأيتَ إنْ قُتلتُ في سبيل الله أتكفَّر عنّي خطاياي؟ فأجابه ﷺ: «نعم، إنْ قاتلْتَ في سبيل الله وأنت صابرٌ محتسبٌ مقبلٌ غير مُدبر إلا الدَّين، فإنَّ جبريلَ قال لي ذلك».[2]

وقد قال ﷺ: «وأعوذ بك أنْ أُقتَلَ في سبيلك مدبراً»[3]، فمن قُتل مدبراً هارباً في غير تحرّف لقتال أو تحيّز إلى فئة فليس بشهيد.

ويَحرُم فرار الجيش من ضعفَي عدَده من العدوّ، قال تعالى: ﴿الآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[4]

---

(1) سورة الأنفال، الآيتان (16-15) .

(2) رواه مسلم في صحيحه (1885).

(3) صحيح النسائي (5547).

(4) سورة الأنفال، الآية (66)

فإذا زاد عدد جيش العدوّ على ضِعف عدد جيش المسلمين جاز الفرار عند جمهور العلماء إلا إذا خشي استباحة بيضة مَنْ وراءهم من عامّة المسلمين ونسائهم وذراريهم فيحرم الفرار آنذاك ولو كان عدد الكفار أضعاف عدد المسلمين.

قال ابن تيمية: "وقتال الدفع مثل أن يكون العدوّ كثيراً لا طاقة للمسلمين به، لكن يُخاف إن انصرفوا عن عدوّهم عطف العدو على من يخلّفون من المسلمين فهاهنا يجب أن يبذلوا مُهَجَهم حتى يَسْلَموا، ونظيرها أنْ يهجم العدوّ على بلاد المسلمين وتكون المقاتِلة أقلَّ من النصف، فإن انصرفوا استولَوا على الحريم فهذا وأمثاله قتالُ دفعٍ لا قتالُ طلب، لا يجوز الانصراف فيه بحال ووقعة أحد من هذا الباب" [1]

مراتب النيّات الصالحة

النيّات الصالحة الأساسيّة:

وهي جذر النيّات الصالحة وأساسها التي تتفرّع منه باقي النيّات.

١- نيّة استحقاق الربّ تعالى للخضوع والعبودية ومحبّته والشوق إليه:

فهو يبذل نفسه محبّة للمعبود وخضوعاً لأمره وشوقاً للقائه ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلَّهِ﴾[2]، ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾[3]، ﴿بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[4]، «وأسألك لذّة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك»[5]، « ثم تأوي إلى قناديل معلقة بالعرش»[6]. وهذه النيّة هي أعلى النوايا منزلةً وأرفعها مقاماً.

---

(1) الاختيارات الفقهية، ص (258)

(2) سورة البقرة، الآية (165).

(3) سورة المائدة، الآية (54)

(4) سورة آل عمران، الآية (169).

(5) أخرجه النسائي (1305)، وأحمد (18351). وصححه الألباني في الكلم الطيب (109).

(6) صحيح ابن ماجه (2277).

٢- نيّة إعلاء كلمة الله وإعزازها، وإذلال كلمة أعدائه وخفضها:

وهي فرع عن النية الأولى، وقد أفردها الشرع بالذكر لأهمّيتها وشدّة تعلّقها بشرائع الجهاد «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله» [1]

٣- نيّة طلب الجنة والفرار من النار:

وهما باعثا الخوف والرجاء ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنْ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمْ الْجَنَّةَ﴾[2]

وعن أنس أنَّ رجلاً أسْودَ أتى النبيّ ﷺ فقال: يا رسول الله، إنّي رجلٌ أسودُ اللون منتنُ الرّيح لا مالَ لي، فإنْ أنا قاتلتُ هؤلاء حتى أقتل فأين أنا؟ قال: «في الجنّة»، فقاتل حتى قُتل، فأتاه النبيّ ﷺ فقال: « قد بيّضَ اللهُ وجهَك وطيّبَ ريحَك وأكثَرَ مالَكَ».[3]

والأعمال بنيّة طلب الجنة ونعيمها من طعام وشراب وحور والحذر من النار وأليم عذابها صحيحةٌ غيرُ معلولة قد طفحت بها نصوصُ الشريعة إلا أنَّ نيّة محبّة الله ونيّة إعلاء كلمته أرفعُ منزلة منها،

بل لا يُتصور أنْ ينفرد باعثُ الخوف والرجاء وينعدمَ باعث المحبة في قلوب المقربين، فإنَّ تلك عبادة التجار وأهل المعاوضة.

فالمحبة رأس العبادة، والخوف والرجاء جناحاها، بل إنّ الجنة ما طابتْ إلا بمجاورة الربّ العظيم ورؤية وجهه الكريم، وهي أعظم نعيم أهل الجنة، وكذلك النار فإنّ غضبه "سبحانه" على أهلها هو ما جعلها دار العذاب والألم، وأشدُّ عذابهم فيها هو سخطُه عليهم واحتجابُه عنهم ﴿كَلاَّ إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾[4].

---

(1) رواه البخاري (123)، ومسلم (1904).

(2) سورة التوبة، الآية (111).

(3) أخرجه الحاكم (103/2)، والبيهقي في دلائل النبوة (221/4)، و حسّن إسناده المنذريّ في" الترغيب والترهيب"(285/2).

(4) سورة المطففين، الآية (15).

ويمتنع خلوّ قلب المؤمن من أيٍّ من النوايا الثلاث، بل لا بدّ من وجودها مجتمعة، وإنما تتفاوت قوّة إحداها على البواقي وغلبتها على القلب، فمن الممتنع أن يخلو قلب المؤمن أثناء العبادة من باعث المحبة كما أنه من الممتنع ألّا تخاف قلوب المحبّين من ناره بعد أن خلقها وخوَّفَ بها عباده، وكذلك ألّا ترجو قلوبهم جنته بعد أن وعدهم بها ورجّاهم بنعيمها، فإن وُجد ذلك فهو نقصٌ وقصورٌ.

ومن قُتل من أصحاب النيّتين الأولى والثانية [المحبة وإعلاء كلمة الله] فارّاً حين يُباح الفرار أو متحيّزاً إلى فئة فهو بمنزلة من قُتل مُقبلاً من أصحاب النيّة الثالثة [طلب الجنة والهرب من النار]

وقد يكون القتيل المتحيّز من أصحاب النيّتين الأوليين أعظمُ منزلة من قتيلِ النيّة الثالثة في حال إقباله.

النيّات الصالحة الفرعيّة:

١- نيّة دفع الظلم عن المستضعفين وحماية حقوقهم:

سواءٌ كانوا من قومه أو بلده أو من كافة المسلمين ﴿وَمَا لَكُمْ لا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنْ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ﴾.[1]

٢- نيّة دفع الكافر الصائل عن النفس:

﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا﴾[2]

ومنْ أصرَّ على دفع الكافر الصائل مع علمه أنه ينجو بحياته إنِ استسلم له هو أعظم درجة ممن يقاتلهم لعلمه أنهم سيقتلونه على جميع الأحوال؛ لأنه كلما كان اختيار العبد للطاعة بإرادة جازمة وصدر منشرح كلّما عظم أجره عند ربه، فالاختيار أساس التكليف وجوهر الامتحان.

---

(1) سورة النساء، الآية (75).

(2) سورة البقرة، الآية (190).

٣- نيّة تكثير أعداد المجاهدين في المعركة وإن لم يباشر القتال:

«الشهداء ثلاثة: رجل خرج بنفسه وماله في سبيل الله لا يريد أن يقاتل ولا يقتل يكثر سواد المسلمين فإن مات أو قتل غفرت له ذنوبه وأجير من عذاب القبر ويؤمن من الفزع ...»[1]

٤- نية الانتقام من جرائم العدو في حقّ المسلمين:

﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ۝ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ﴾[2]، وأمّا الثأر الشخصيّ فله تفصيلٌ يأتي.

٥- نية طلب الشهادة والإصابة في سبيل الله:

«للشهيد عند الله ست خصال: يُغفر له في أول دَفعة ويَرى مقعده من الجنة، ويجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبرِ، ويوضع على رأسه تاج الوقار؛ الياقوتة منها خير من الدنيا وما فيها، ويزوَّج اثنتين وسبعين زوجة من الحورِ العِين، ويشفّع في سبعين من أقاربه».[3]

وهذه النوايا الخمس وغيرها من النوايا الصالحة الفرعية لا بدّ من أن تستند إلى النيّات الأصليّة الثلاث الأولى، وإنما تنوّعت بتنوّع الشرائع وتفاصيل الأحكام، فيقال على وجه المثال: إنّ كمال نيّة دفع الظلم عن المستضعفين أنْ تَصدُرَ خضوعاً لأمر الله ومحبّة له ونصرة لدينه ورغبة في جنته وخوفاً من ناره، وهكذا في باقي النوايا المشروعة.

(1) ضعيف: أخرجه البزار (6196)، والبيهقي في شعب الإيمان (4255)، واللفظ له. ضعيف الترغيب والترهيب (849).

(2) سورة التوبة، الآية (14).

(3) رواه الترمذي (1663) واللفظ له، وابن ماجه (2799)، وأحمد (17182)

النيّات المباحة:

وهي النيات التي يجوز استصحابها مع النيات الصالحة.

١- نيّة المغنم إذا كانت نيّة ثانوية تابعة لنيّة أصليّة صالحة:

﴿وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا﴾(1).

٢- نيّة ثأر المرءِ من الذين ألحقوا به أذيّة شخصيّة إذا كانت نيّة ثانويّة تابعة لنيّة أصليّة صالحة:

ـ وضابط التفريق بين النيّة الأصلية والنيّة التابعة أنّ الأصلية كافية وحدها أنْ تبعثَ صاحبَها على العمل مع افتراض عدم وجود موجب النية التابعة، فأمّا إن لم تبعث صاحبها بشكل مستقلّ على العمل إلا بوجود الأخرى دلَّ ذلك على كون الثانية نيّة أصلية لن ينتهضَ العمل إلا لأجلها

ـ فمن خُيّر بين جهادٍ بلا غنيمة وبين القعود عن الجهاد فاختارَ القعودَ دلَّ ذلك على أنّ الغنيمة نيّة أصليّة عنده، وأمّا إن اختار الجهادَ على القعود و خُيّرَ بين جهاد فيه غنيمة وآخر لاغنيمة فيه فاختار جهاداً مع الغنيمة فتلك نيّة تابعة وعلى المرءِ أن يمحّص قلبه، والله يعلم ما في قلوبكم فاحذروه.

ـ ومن كان لا يقاتل العدوّ إلا إذا كان لديه ثأرٌ معه ويختار ترْك قتال عدوّ مثله يصول عليه وعلى المسلمين لأنه لا ثأر له عنده فطلب الثأر إذ ذاك نيّة أصليّة لديه، وأمّا إنْ كان يقاتل كلّ عدو صائل وجب دفعه في شريعة الله لكنّه يتوق لقتال من آذاه وكان عنده ثأر معه فتلك نيّة تابعة.

ـ ومن تأمل سياق آيات التوبة من ٧-١٥ يجد أنّ الله تعالى جعل آخر المحرّضات على قتال العدو هو شفاء صدور المؤمنين وإذهاب غيظ قلوبهم، وأما أوّل المحرضات فكان شركهم وصدّهم عن سبيل الله ونقضهم العهود وهمُّهم بإخراج الرسول، ومع ذلك فقد أخبرنا ربّنا بأنهم إنْ أسلموا يصيرون إخواننا في الدين.

---

(1) سورة الفتح، الآية (20).

ـ ومَنْ جاهد ونيّته تحصيل غُنْم الدنيا دون التفاتٍ إلى أيّ قصد تعبّديّ فإنّ قُتل فليس بشهيد وليس له أجر البتة، واختلف العلماء في استحقاقه للعقوبة، فمنهم من قال بعقوبته؛ لأنّه عمِلَ عمَلَ الآخرة للدنيا، والقول الراجح أنه لا يُثاب ولا يُعاقب؛ لأنّ النصوص دلّت على ذلك.

ــ فإنْ قصد الغنيمة والتعبُّد معاً بحيث لو تيسّر له غنيمة دون قتال الكفار؛ كقتال قطاع الطرق لم يختَرْه ممّا يدلّ على قصد التعبّد، فذهب قوم إلى الحبوط، واختار الغزالي "وهو الصواب" أنه إنْ كان باعث الآخرة أقوى من باعث الدنيا أثيب بالقدر الزائد، وإن كان الدنيويّ أقوى أو استوى الباعثان حبط العملُ دون عقاب.

ـ وكلّما عظُمتِ النية المباحةُ طردت من النية الصالحة وقلَّ الأجر، حتى إذا غلبت على قلبه فيصبح الرجل يقاتل للمغنم فتذهب بكامل الأجر وتحبط العمل ولا يكون صاحبها شهيداً دون لحوق العقوبة به، وقد قال ﷺعن الذي اشترط الدنانير قبل المعركة: «ما أجدُ له في غزوته في الدنيا والآخرة إلا دنانيره التي سمّى»[1]

ـ ومن جاهد بنيّة صالحة أصليّة دون أن يلتفت قلبه إلى الغنيمة أصلاً "ولو أخذها عند التوزيع" هو أعظم درجة وثواباً ومنزلة ممّن جاهد بنيّة صالحة أصليّة معها نيّة المغنم التابعة "ولو لم يأخذها ولم تتيسر له" لأنّ حقائق الأعمال تثبت بما في القلب وليس بما في اليد.

ـ ومنْ خافَ على نفسه أن تتطلع إلى الغنيمة فترَكَها حسماً لمادة التعلُّق فذلك حسنٌ، ولكن عليه أن يتنبه من خفاء دسيسة الرياء والعجب في تركه للغنيمة، فإنّ خطر الرياء" إذا وُجد" أعظمُ من خطر أخذ الغنيمة.

(1) صحيح أبي داود (2527)، الحاكم (2530)، البيهقي (13286).

ـ وأَخْذُ الغنيمة لبعض الناس في بعض المواطن أفضلُ وأسلمُ وأكملُ مِنْ تركها زهداً، وقد كان أصحاب النبيّ ﷺ يأخذون الغنيمة دون أن تتعلّق بها قلوبهم، وله أن يترك الغنيمة زهداً وحفظاً لأجره.

ـ ومَنْ جاهد بماله ونفسه أعظمُ درجة ممّن جاهد بنفسه إذا استويا في صلاح الباعث ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۞ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾[1] «ولا الجهاد في سبيل الله إلا رجلٌ خرجَ بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشيء»[2].

النيّات المحرمة:

١- نيّة الرياء والسمعة:

لأنّ فيها إعراضاً عن الخالق وشهوداً للخلق، حيث يعرّض نفسه للهلاك طلباً لحمْدِهم، ويتخذ ربَّه وراءَه ظِهريّا عندما تقرَّب بالعبادة إلى غير مَنْ شَرَعها ويستحقّها لذاته "سبحانه وتعالى"، فعبد بها غيره وختم له بالإشراك.

فمن غزا رياء وسمعة ليُقال: شجاعٌ وجريءٌ، ولم يخطر بباله قصْد التقرّب إلى الله، بحيث لو لم يطّلع عليه الخلق الذين يرجو ثناءهم لم يحمله قصْدُ التعبّد على الجهاد والشهادة، فهذا إذا قُتل ليس بشهيد، وهو أيضا مستحقّ للعقوبة، وأحد الثلاثة الذين هم أوّل مَنْ تسعّر بهم النار يوم القيامة.

وإذا غزا بنيّة مشتركة بين التعبّد والرياء، بحيث لو حصل قتال مع الكفار في ليل مظلم دون حضور من يتوقع منه مدحاً وثناءً لم يقاتل، ولكنّه في الوقت نفسه لو وجد قطّاع طرق أو نحوهم من غير الكفار لم تحمله رؤية الناس على قتالهم طلباً للثناء، ممّا يدل على شائبة التعبّد عنده، فهو ليس بشهيد عند العلماء.

---

(1) سورة الصف، الآيتان (10-11).

(2) سنن الترمذي (757)، صحيح الترغيب (1148).

وذهب بعضهم إلى أنه يُجازى بحسب ما زاد من أقوى الباعثين على أضعفهما، إنْ خيراً فأجرٌ وإنْ شرّاً فوزرٌ، والصحيح أنه ليس بشهيد.

لأن رجلا جاء إلى النبي ﷺ فقال: أرأيت رجلا غزا يلتمس الأجر والذكر ما له ؟ فأجابه ﷺ: «لا شيء له»، وأعادها ثلاث مرات.[1]

ـ وإنما تتم المقارنة بين الكفار وقطاع الطرق لاختبار وجود باعث قتال الكفار لدلالته على شائبة التعبّد عنده، فلو حملته رؤية الناس على قتال من يتيسر من كفار أو قطاع طريق لَدلَّ ذلك على ضعف شائبة التعبّد أو انعدامها، وأمّا إن كان يحرص على قتال الكفار دون غيرهم فذلك يدلّ على وجود شائبة التعبّد.

ـ وقد اختلف العلماء في استحقاق العقوبة لصاحب النية المشتركة بين التعبد وثناء الناس، فذهب بعضهم إلى أنه يعاقَب في الآخرة، وذهب آخرون " وهو الراجح " إلى أنه لا يُثاب ولا يُعاقب، بل يكفيه من العقوبة إحباط أجره في بذل نفسه التي هي أنفَسُ ما لديه وحرمانه من أجر الشهادة، وقولهﷺ: «لا شيء له»[2] يدلّ على ذلك.

ـ فإنْ قيل: ينبغي أن يُثاب على شائبة التعبّد بقدرها من ثواب المخلص التامّ ويعاقَب على قصد الرياء بقدره من المرائي الكامل، قلنا: يكفيه من العقوبة إحباط أجره وعدم فوزه بالشهادة وخصالها، وحسْبُه من الثواب على شائبة القربة دفع العقوبة عنه، إذ لولا تلك الشائبة لكان من الثلاثة الذين تسعَّر بهم النار.

ـ فوجود شائبة التعبد هو الذي منعه من العقوبة التي يستحقّها المرائي الكامل كحال أوّل من تسعَّر بهم النار يوم القيامة، كما أن وجود شيء من الرياء هو الذي منعه من الأجر الذي يفوز به المخلص، فلا يكون له أجرٌ؛ لانعدام حقيقة الإخلاص، ولا يستحقُّ عقوبة لما في عمله من قصد القربة وعدم تمخّض الرياء.

---

(1) رواه النسائي (3140)، السلسلة الصحيحة (52).

(2) رواه مسلم في صحيحه (1885).

٢- نيّة الثبات حياء من الناس:

ولها صورتان، الأولى: أن يَثْبُتَ حياءً من الناس دونَ وجود جنسِ قصْدِ التعبّد فيُقتَلَ على ذلك فهذا مراءٍ معذَّبٌ تُسعَّر به النار يوم القيامة "عياذاً بالله تعالى" وهو إلى قتال المنافقين أقربُ منه إلى قتال المؤمنين.

والثانية: أن يغزو بنيّة خالصة وحين تراءى الصفّان جَبُنَ عن القتال وثَبتَ حياءً من الناس، بحيث لو كان في موطن لا يراه أحدٌ أو كان ليلاً لانهزم، فلمّا علم أنّ الناس يعيبونه بالهزيمة ويعيّرونه بها قاتل إذ ذاك حياءً مشوباً بنوع من التعبّد.

ـ ويعرف وجود قصد التعبد بأنه لو كان الذين يقاتلهم قطاع طريق وليسوا كفاراً لانهزم بلا تردد ولم يلتفت الى خوف العار والذم فثباته مشترك بين قصد الأجر وخوف الذم فهذا إذا قتل ينبغي ألّا يكون شهيداً قياساً على قصد الأجر وطلب الذكر لأن كلاً من طلب المدح وخوف الذم رياء مذموم والله المستعان.

ـ وأما إن غاب قصد التعبد بالكلية فثبت خوفاً من الذم والعار في قتال الكفار أو قطاع الطرق أو أي كان دون أية نية صالحة فهذا ممن ينبغي ان تسكب عليه العبرات وتكثر لديه الحسرات، لأنه فقد شائبة التعبّد وعجز عن الإخلاص، فشهود الخلق غالبٌ على جميع أحواله، وهو المرائي الصِرْفُ الذي تسعَّر به النار.

ـ والواجب على من دهَمَه شهودُ الخلق عند التقاء الصفّين أن يَثْبُتَ في القتال، ويجاهدَ في تحقيق الإخلاص ودفْع خاطر الرياء ولزوم نوايا التعبّد، ويلجأ إلى الله التجاء الغريق الضرير في تيار الماء القاهر، فلعلّ الله أنْ ينظر إلى عجزه واضطراره فيدركه بنفحة من نفحات الإخلاص في آخر حياته فيفوز بالشهادة.

النيّات المشتبِهة:

١ـ نيّة الغزو ليُقتلَ فيستريح: ممّا هو فيه من ضعف مؤلم أو فقر دائم أو مرض عضال أو مصيبة نازلة فله عدة أحوال، أوّلها: ألّا يبالي بأية صورة يموت عليها من أن يتردّى

من جبل أو يغرق في نهر أو يقتل في معركة بغير قصد التقرب إلى الله، فهذا أشبه بالمنتحر، وهي نيّةٌ محرّمةٌ.

ثاني الأحوال: ألّا يرضى لنفسه بالزهوق إلا على وجه شرعي إما بكونه على يد الكفار أو قطاع الطرق أو حاكم جائر دون استحضار قصد التعبّد بفعله الإرادي الذي يفضي إلى ذلك؛ لأنه غلبت عليه نيّة التخلّص من الحياة، فمثل هذا ليس منتحراً من جهة، لكن لا يثبت له أجر الشهادة، لغياب القصد المشروع أو ضعفه.

ثالث الأحوال: ألّا يرضى لنفسه بالزهوق إلا بقتال الكفار دون غيرهم من قطاع الطرق أو الطاعون أو الحاكم الجائر، ممّا يدلّ على قصد التقرّب والإيمان والتصديق بوعد الله بثواب من يقتله الكفار، فهذا أقرب إلى أن يكون شهيداً، لكنّه لا يلتحق بمنزلة المخلصين والشهداء الأولين.

وأمّا إنْ أراد الغزو بنيّة صالحة، وقصد التقرّب إلى الله فلا يضرُّه الضعف المؤلم ولا الدَّيْنُ المُلازم ولا المرض العضال، لأن الله يعلم ما في قلبه من إرادة وجهه، فهذا شهيدٌ في الدنيا والآخرة، ومثاله: أنْ ينغمس مجاهدٌ مريضٌ بالسرطان في العدوّ أو بعملية استشهاديّة بنيّة مشروعة فهو شهيدٌ إن شاء الله، وأجره قد ينقص عن المجاهد السليم المعافى وقد يزيد عليه بحسب ما قام في قلب كلّ منهما من الإيمان واليقين بوعد الله، وقد جاء رجلٌ إلى النبيّ ﷺ فقال: أي الصدقة أعظم أجراً؟ قال: «أنْ تَصَدَّقَ وأنت صحيحٌ شحيحٌ تخشى الفقر وتأمل الغنى، ولا تمهل حتى إذا بلغتِ الحلقومَ قلتَ: لفلان كذا ولفلان كذا، وقد كان لفلان».[1]

<u>٢- نيّة مَنْ أخذَ الجعلَ(الراتب) في الغزو:</u>

وقد اختلف الأئمة في جوازه، فذهب مالك وأهل الرأي إلى جوازه للمحتاج، ومنعه الشافعي إلا من مال السلطان؛ لأنّ الفروض لا يؤخذ على أدائها مالٌ مع اتفاقهم على

(1) رواه البخاري (1419) واللفظ له، ومسلم (1032).

اعتبار النيّة، وأنه إنْ كان لم يغزُ إلا لأجل الراتب فليس له من الثواب إلا راتبه، وإنْ قُتل فليس بشهيد.

وإن كان فقيراً لا يجد ما ينفق على نفسه في غزوته ولا على أهله في غيبته، وعلم اللهُ أنه لو وجد ما يكفيه لما أخذ الراتب، ولو عُرض عليه راتب في قتال قطّاع الطرق لما رغب فيه، فهذا يدلّ على حرصه على الغزو تعبُّداً، فإذا حضرَ القتالَ بنيّة صالحة فهو مأجورٌ شهيدٌ إن شاء الله.

وقد قالﷺ: «للغازي أجرُه، وللجاعل أجرُه وأجرُ الغازي».[1]

والجاعل هو الذي يفرض راتباً للغازي.

ـ وينبغي على من يأخذ راتبًا أن ينويَ به إعفاف نفسه وأهله وتفرّغَه لمصلحة الجهاد، وأن يتابع الجهاد إذا انقطع، ولا يجوز أن يَعتبر الراتبَ مقابلاً لجهاده، وإلّا أشبه المستأجَرين والمرتزقة، وفاتَه أجرُ الجهاد والشهادة.

قال ابن تيمية: "وجِماع هذا أنّ المستحبّ أنْ يأخذَ ليحجَّ، لا أنْ يحجَّ ليأخذ، وهذا في جميع الأرزاق المأخوذة على عمل صالح، فمن ارتزق ليتعلّمَ أو ليعلِّمَ أو ليجاهدَ: فحسنٌ.

وأمَّا منِ اشتغل بصورة العمل الصالح لأجل أن يرتزق: فهذا من أعمال الدنيا، ففرقٌ بين مَنْ يكون الدّين مقصودَه والدنيا وسيلة، ومَنْ تكون الدنيا مقصودَه والدِّين وسيلة، والأشبه: أنَّ هذا ليس له في الآخرةِ مِن خَلاق، كما دلّت عليه نصوص".[2]

٣- نيّة الصانع والحرفيّ ممّن لا يشارك في القتال عادة:

وهم من يُستأجَر للخدمة لا للقتال في المعركة، فمَن قاتلَ منهم بنيّة صالحة فإنه يُؤجَر على ذلك، وكذلك التجّار والصنّاع إذا حضروا المعركة بنيّة خالصة فقُتلوا كانوا شهداء في الدنيا والآخرة، ومثاله: سائقو الجرّافات وسيّارات التحصين والتدشيم.

---

(1) رواه أبو داود (2526)، وأحمد (6624).

(2) الفتاوى الكبرى، (26/19-18).

وأمّا مَنْ خرج منهم لأجل الإجارة دون أي قصد تعبّديّ فليس له أجرٌ إذا لم يستدرك نيته، وإن استوى الباعثان أو ترجّحَ أحدُهما كان الأجر بحسب ذلك، وبالعموم: فكلُّ مَنْ يَحضُر القتال بنيّة صالحة غالبةٍ على قلبه فله أجر الجهاد، وإنْ قُتلَ فهو شهيد، ممّا يدلّك على أهمّية تحرير النوايا واستحضار صالحِها عند المعركة.

أحوال طروء وارد الرياء:

١ـ أن يعمل بإخلاص أفعالا من الجهاد مثل: التجهيز والنفقة في سبيل الله والرباط ونحوها قبل وارد الرياء والتي هي أفعال منفصلة لا يتوقّف ثوابها على القتال نفسه فهذه يثبت أجرها، لأنها صدرت قبل الرياء، وأمّا ما صدر بعده فيكون له أحكام الرياء التي سبقت في النّية المحرَّمة.

٢ـ ألّا يكون قد سبق بأي عمل قبل طروء الرياء: فيباشر أعمال الجهاد بنيّة فاسدة، فآنذاك يحبط عمله كلُّه إلا أنْ يتداركَه الله فيتوبَ ويُخلِصَ.

٣ـ فإنْ شرع في الجهاد بإخلاصٍ ثم داخَلَه السرورُ بإطلاع الناس على عمله: وسكنت نفسه إلى محمدتهم ومنزلته في قلوبهم، فقد مالَ "المحاسبيّ" إلى حبوط العمل ولم يجزمْ بذلك.

وذهب الغزاليّ إلى أنه إنْ نوى إتمام العمل حتى لو لم يطّلع عليه الناس ولم يظهر أثر سروره على العمل بزيادته أو بتحسينه بل بقيَ العمل صادراً عن باعث الدين وانضافَ إليه مجرّد السرور بالاطلاع دون زيادته وتحسينه فلا يفسد العمل، لأنّ أصل نيّته الصالحة لم تنعدم بذلك، وبقيتْ باعثة على إكمال العمل.

ـ وينبغي على المجاهد أن يستحضرَ النيّة الصالحة في كلّ مرحلة، ويواظبَ على التوبة والاستغفار من ذنوبه كافة ومما يطرأ على نيته في الجهاد بشكل خاص، كي تسلم له مراحل جهاده المتصلة والمنفصلة، خصوصاً إذا خشي مَنْ سبقَ وقوعُه في مواطن الرياء، لعلّ الله يتوب عليه ويحفظ له عمله وهو أكرم الأكرمين.

٤- فإنْ أنشأ الجهاد بنية خالصة فلما تراءى الجمعان ذهبتْ عنه النية: ولكنْ لم يَرِدْ عليه ما ينافيها فالنّيّة الأولى تكفيه إن شاء الله، لأنّ القتال قد يأتي على غفلة ويكون فيه فزع ودهشة وذهول، فإيجاب استحضار الخواطر آنذاك حرجٌ ومشقّة، ولكنْ يُستحب أن يذكّر المرءُ نفسَه وإخوانه بالنية الصالحة في ذاك المقام.

٥- ويجب مدافعة العُجْب والغرور من النفس خلال العمل الصالح: فإنه يقلّل الأجر ويقْلبُ النصر إلى هزيمة ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُدْبِرِينَ﴾.(1)

وإذا أنعم الله بنصر فيجب نسبة الفضل إليه "سبحانه" وعدم نسبته إلى النفس، تأدّباً مع الخالق وقمعاً للنفس وتواضعاً مع المخلوق ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾.(2)

٦- فإنْ أتمّ الغزوة على الإخلاص: فينبغي عليه أنْ يدافع رغبته النفسية في ذكر شجاعته وصبره للناس؛ صيانةً لعمله وحذراً من حبوطه، وقد دلّت النصوص على ثبوت أجر العمل الذي أخلص فيه، فإن راءى به بعد الفراغ منه عوقب على ريائه دون أثر رجعيّ عليه، لكنْ بالحسنات والسيئات خلافاً للرياء أثناء العمل حيث يحبطه، لكن جاء في أثر ضعيف عن أبي الدرداء τ: "إنّ الرجل يُكتب له عملٌ صالحٌ معمولٌ به في السر يضعفُ أجره سبعين ضعفاً، فلا يزال به الشيطان حتى يذكره للناس ويعلنه فيكتب علانية ويمحى تضعيف أجره كله، ثمّ لا يزال به الشيطان حتى يذكره ثانية ويحب أن يُذكر به ويُحمد عليه فيمحى من العلانية ويكتب رياء، فاتقى الله امرؤٌ صان دينه" (3)، فينبغي على المرء أن يحترز من إظهار عمله إلا أن تخلص له نية يثق بها في التحدّث لمن يعلم أنه يقتدي به فيقوى قلبُ سامعه ويجود بماله ونفسه ويزداد قوة

(1) سورة التوبة، الآية(25).
(2) سورة الأنفال، الآية(17).
(3) ضعيف: رواه البيهقي في الشعب(٦٨٣٥)، وذكر بأنه من أفراد (بقيّة)عن شيوخه المجهولين، قال الحافظ المنذريّ في" الترغيب والترهيب"(56/1): أظنه موقوفاً.

وجرأة، لأنّ النفوس مجبولة على التشبّه بالأقران، وهذا كان قصد السلف في حكاية أفعالهم لمن حولهم.

ـ وإنْ تحقق المقصود بعدم ذكر الإنسان لنفسه أثناء تحفيز الناس على الخير بأن يعزو الفعل إلى من لا يسمّيه فهو الأحوط لنفسه والأحفظ لعمله، وقد كان أكثر السلف يجتهدون في إخفاء طاعاتهم؛ خوفاً من إحباطها، واكتفاءً باطلاع الله وعلمه بها، فهو الذي يجازي عليها لا غيره، وكفى بالله عليماً.

ـ ويجب الحذر من مكائد الشيطان في الصدّ عن الخير، فإنه يوسوس للعبد بترك العمل الصالح بحجة صعوبة الإخلاص، والواجب أن يعزم إرادته على الطاعة ويجاهد نفسه في تصويب النية، وإنّ الله لهادي الذين آمنوا إلى صراط مستقيم، وهو يعين العباد على مرضاته، وحاشاه أن يخذل مَنْ قصَدَ وجهَه الكريمَ و يردَّه عن بابه.

وإنّ أمر النيّة سهلُ المنال على مَن ييسره الله له ويريد توفيقه، وعسيرٌ على المخذول المحروم، وقد قال تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ ﴾.[1]

وقالﷺ: «إنّ الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله، والنارُ مثل ذلك». [2]

---

(1) سورة الأنفال، الآية(24).

(2) رواه البخاري(648).

وللإخلاص علامات ربّما تلوح لصاحبها:

١ـ بذْلُ الوسع في معرفة الحقّ وعكسه الجهل، وتخيُّر الأقوال الموافقة للهوى، وعدم تأمّل أقوال المخالفين وتحري صوابها.

٢ـ تعلّم العلم للعمل والامتثال لا للترف والجدال.

٣ـ سؤال النفس عن باعثها قبل العمل وعكسه الانجرار مع الهوى وموافقة الطبع والمصلحة.

٤ـ المبادرة إلى الخيرات بعد أن يتبيّن المرء صوابيّة العمل وصلاح باعثه.

٥ـ السكون والطمأنينة أثناء العمل جزاءٌ من عند الله على أخْذ العبد بما سبق من أسباب، وعكسه الاضطراب والقلق لعدم الصوابيّة وعدم الإخلاص.

٦ـ الخوف بعد انتهاء العمل من عدم قبوله وعكسه عدم الاكتراث بالأجر أو تزكية النفس باعتقاد أحقّيتها له دون أخذ الأسباب الموجبة لذلك.

ـ ويجب الحذر في زماننا من آفةٍ سببُها شؤم التفرق وكثرة الجماعات وهي نيّة القتال إثباتاً لوجود الجماعة، ومنافسة على السَّبق الإعلامي والميدانيّ، أو حذراً من الاتهام بالتقصير والتخاذل ممّا قد يؤدي إلى التغرير بالجنود والمقدّرات التي هي أمانة في أعناق قادة الجهاد.

ـ لذا أنصح إخواني عسكريّين و مدنيّين باجتناب التخوين والاتهامات بالتقصير، لأنّ ذلك ممّا يفسد النيّات، ويوغر الصدور ويفتُّ العضد، بل ينبغي التحلّي بالمسؤوليّة، وعدم بخس تضحيات آلاف الجنود والشهداء والجرحى في هذه المعركة، وتركيز الجهود على التحصين وأسباب الصمود وإغاثة مَنْ شُرّدوا عن أرضهم من شعبنا الصابر.

والواجب إدارة المعركة بقيادة عسكريّة واحدة، لمواجهة مكرَ العدوّ بدهاء وحنكة، والأخذ بالأسباب الشرعيّة والكونيّة للنصر، والسير على خطّة رشيدة توضع فيها جميع

الإمكانات المتاحة في موضعها المناسب بنيّة صالحة وإرادة جازمة لحماية الدين والعرض والأرض.

وإنّ صدّ هذه الحملة البربرية يحتّم التماسك والتلاحم عسكريّين ومدنيّين، وأية دعوة إلى الفوضى " مهما كان سببها" ستتيح الفرصة للعدوّ أن يخلخل الصفوف ويبدّد القوى ويُوهن العزائم، ويحقّق بالحرب النفسيّة ما عجز عنه بالقتال.
كما أدعو إلى تصحيح الأخطاء ورفع المظالم والتوبة من الذنوب والأخْذ على أيدي السفهاء، وتوجيه الطاقات ضدّ المحتلّين وأذنابهم، ليعيش شعبنا بأمان وكرامة، وإنّنا لن ننتصر في الدنيا إلا بنوايا الآخرة، ونسأل الله أن يتقبلَ شهداءنا ويشفيَ جرحانا ويصبّر أهلنا ويَمُنَّ على جندنا بنصر منه وفتح قريب.

والحمد لله ربّ العالمين.

جمع وإعداد

حسن صوفان

٧/١/١٤٤١هـ ٦/٩/٢٠١٩م